ابراهيم الأمين

مسؤولية الجيش في مواجهة مستغليه

لن يحتاج أهل المنطقة الحدودية مع سوريا إلى وقت طويل حتى يلمسوا الفرق بين ما كانت عليه الامور قبل أمس وما سيكون عليه الوضع لاحقاً. ست سنوات من التغييرات التي لم تشهدها هذه الحدود خلال عقود طويلة، حفرت الكثير، ليس في وعي السكان فحسب، بل في ذاكرتهم الطرية، عن حكايات الموت والنار والآلام، تضاف اليها المشكلة الأكبر التي لا تحلّ من دون مصالحة كبرى، ليس بين أبناء القرى اللبنانية الحدودية وحدهم، بل بينهم وبين السوريين على الجانب الآخر من الحدود.

لكن، بعيداً بعشرات الكيلومترات في عمق لبنان، سيظل المشهد السياسي عالقاً عند الذين يرفعون شعار «لا عودة لعقارب الساعة الى الوراء»، فيما هم يضبطون ساعاتهم على توقيت صيف عام 2011، عندما اشتعلت المنطقة السورية من الحدود اللبنانية من جنوبها حتى شمالها، ويوم فكروا أن تغييراً هائلاً مقبل على المشهد اللبناني كله، علماً بأن

> **رافضو الجيش وقاتلو جنوده وحاجبو رواتبه وسلاحه يريدون استثمار تضحياته ليس حبّاً به، بل حقداً على الآخرين**

غايتهم ظلت هي هي، في استثمار دماء الحدوديين لتثبيت سلطتهم في بيروت وجبل لبنان. وكل توقع بتغيير حقيقي يصيب قوى الفريق المهزوم محلياً وإقليمياً ودولياً، هو وهم بوهم. ذلك أن هؤلاء من طينة تدعو خصومها الى عدم التعامل معها برفق. وكل تواضع يصدر عن منتصر يفهمه هؤلاء مؤشر ضعف يصدر عمّن يحتاج الى تسوية.

في كل التجارب القاسية التي عاشها لبنان خلال ثلاثين سنة، ظل هو الفريق نفسه. كان اسمه ورثة صيغة ميثاق 1943، ثم صار اسمه الجبهة اللبنانية لإنقاذ الصيغة نفسها، ثم صار اسمه حماة دولة ما بعد غزو عام 1982، ثم تحول الى نادي متعبي الحرب الاهلية، قبل أن يتحول الى فريق المتضررين من تكليف الولايات المتحدة والسعودية سوريا بإدارة ملف لبنان، وما لبث أن صار نادي المنتفضين على الوصاية السورية، الى أن استفاقوا على أنهم أيتام رفيق الحريري، قبل أن يصبحوا فريق 14 آذار، لينتهي بهم الأمر، بقايا العصر الاميركي الغابر.

هؤلاء، لم يتوانوا عن استخدام كل شيء في سبيل مصالحهم. قصدوا دمشق يتوسلون حافظ الاسد لإرسال جيشه لإنقاذهم، ثم نثروا الأرز على جنود العدو الاسرائيلي وهو يقتل إخوتهم في البلاد، ثم ركبوا قطار إعادة الإعمار وكسب ودّ الخليج وماله، قبل أن يضحّوا بكل شيء في الدولة، من مؤسسات وطنية وتعليم وصحة وبنى تحتية، وينكلوا بالناس أفراداً وجماعات باسم الطوائف والمذاهب. وفي كل مرة تهدأ فيها النفوس، يعودون الى عاداتهم القديمة، ليبثّوا سموم الحقد والتفرقة، لأنها الارض الخصبة لعيشهم. اليوم، لا يتوقع أحد من هؤلاء المراجعة، ولا إعلان الندم، ولا الاستعداد لتغيير جوهري في الفكرة والخطاب والممارسة. وهم الذين واكبوا داعمين، بالسياسة وغيرها، بناء الجماعات التكفيرية وقواعدها وحواضنها الشعبية في كل المناطق الحدودية مع لبنان، وهم الذين منعوا الجيش عام 2014 من خوض معركة كانت أسهل مع الإرهابيين أنفسهم، وهم الذين رحّبوا بكل قميء يدخل البلاد ويعبر منها الى سوريا.

هؤلاء عندهم هدف واحد، هو عنوان حقدهم على كل من يقاوم الاحتلال الاسرائيلي وسياسات أميركا والغرب وممالك القهر في لبنان. وعمالتهم الدائمة للخارج، تجعلهم مجرد مرتزقة، يقومون بالأدوار المنوطة بهم. باتت لديهم خبرة لا تستدعي من المشغل إلا دقّ النفير. ولذلك، نتوقع منهم كل شيء سلبيّ ومدمر. لكن، على ماذا يتّكلون اليوم؟

مع الأسف، ليس بين أيدي هؤلاء اليوم، اللبنانيون منهم والغربيون على حدّ سواء، سوى حيلة اسمها «الجيش اللبناني». وهم الذين سنسمع قصائدهم وأشعارهم وأغانيهم في حبّ الجيش الذي تولّت القوى الخارجة من بيوت الكتائب قتاله والتحريض عليه طوال سنوات الحرب الأهلية، ثم صنّفوه مؤسسة معادية خلال الوجود السوري. وبعد ذلك، تولّى الحريري الأب حملة تجويعه ومنع تسلحه، كما لا يزال الحريري الابن يفعل، وهم الذين منعوه من إنقاذ العسكريين عام 2014، وطلبوا منه القبول بمبدأ «الأمن بالتراضي»، ثم تركوه عرضة لكل ذبح من قبل عناصر الجماعات المتطرفة، ومنعوه حتى من ملاحقة المتورطين والمشتبه فيهم، بحجة الحريات السياسية.

هؤلاء الذين فعلوا كل ذلك بالجيش، لم يوافقوا أصلاً على قراره خوض معركة الجرود. وعندما أصرّ الرئيس ميشال عون على ضرورة قيام الجيش بدوره، حاولوا وضع العراقيل، ولما تقرّر الأمر، سارعوا الى محاصرته بالشروط السياسية، وأصبح هؤلاء ـ الفاشلون في الحروب عندما قادوا الشباب الى حتفهم، أو ناصروا شباباً غاضبين ودفعوا بهم الى النار السورية ثم فشلوا ـ خبراء عسكريين، يعرفون كيفية إدارة المعركة في مناطق لم يعترفوا يوماً بأنها جزء من لبنان، ورسموا، كما عواصم الغرب، الخطوط الحمر من حول حركة الجيش لمنع التنسيق الإلزامي بينه وبين رجال المقاومة وجنود الجيش العربي السوري، في معركة تقع على أرض واحدة، وضمن مربع واحد، وضد عدوّ واحد.

اليوم، لن ننظر الى هؤلاء، ولن نتوقع منهم غير ما يعرفون القيام به من خسّة وذلّ وغدر الأفاعي. لكن العين على الجيش الذي بمقدوره، في ظل رعاية الرئيس عون له، أن يقطع الطريق على هؤلاء، وأن يرسم الإطار الفاصل بين الاستثمار السياسي غير المجدي، وحقائق ودروس فرضتها معركة الجرود الأخيرة. والتوجه الى الجيش، ليس فقط لكونه مؤسسة يأمل اللبنانيون أن تكون على الدوام محطّ تفاهم وتقدير، بل لكون تجربة المعركة تستدعي رفع الصوت، في مواجهة أصوات لا تعرف اليوم، ولا غداً، كم خسر الجيش في هذه المعركة من دماء!

ميشال عون ومعه الجيش اللبناني قيادة وجنوداً، الرئيس بشار الأسد ومعه الجيش العربي السوري قيادة وجنوداً، السيد حسن نصرالله ومعه المقاومة قيادة ومجاهدين، اللواء عباس إبراهيم ومعه الأمن العام ضباطاً وعناصر... لكل هؤلاء التحية والتقدير. (إ. أ.)

أولاها تقديم معلومات أكيدة عن مكان دفن العسكريين الثمانية، الذين تبيّن أنه تمت تصفيتهم منتصف شباط عام 2015، وجرى دفنهم في منطقة «حرف وادي الدب» قرب معبر الزمراني. وهو المكان الذي كان الأمن العام قد حدّده عشية انطلاق معارك الجرود، ويقع ضمن دائرة الـ20 كلم مربّع التي حرّرتها المقاومة من الأرض اللبنانية في اليوم الأول من المعركة.

وإلى جانب هذه الخطوة، جهّز المسلحون جثث شهداء من المقاومة، وباشروا التفاوض على لائحة الذين يريدون الانتقال إلى الشرق، بعدما كان العشرات منهم قد استسلموا للمقاومة على دفعات خلال الأسبوع الماضي. وبحسب آخر إحصائية، فإن نحو 325 مسلحاً يريدون الانتقال الى سوريا، إضافة الى عائلاتهم، وبينهم نحو أربعين عائلة تقيم في مخيمات النازحين في عرسال. وسيصار إلى تجميعهم سريعاً ونقلهم الى باصات وصل 17 منها الى قارة مساء أمس، إضافة الى 10 سيارات إسعاف لنقل جرحى من المسلحين أيضاً. وسيسلك هؤلاء طريق القلمون ـ تدمر ـ السخنة، ومنها إلى البوكمال على الحدود العراقية، حيث يريد البعض منهم الانتقال إلى مناطق في الغرب العراقي الواقعة تحت سيطرة «داعش».

وفيما خصّ العسكريين اللبنانيين، تبيّن أن المعلومات التي قدمها المسلحون تشير إلى أن مكان دفنهم هو المكان نفسه الذي كان الأمن العام قد تفقده غداة انطلاق معركة الجرود، بعدما وفّرت المقاومة له غطاءً عسكرياً كاملاً، ولم يتم العثور يومها على شيء. لكن بحث أمس أظهر أنهم دفنوا في المنطقة نفسها، على بعد عشرات الأمتار من النقطة التي كان أحد المخبرين قد حددها للأمن العام. وتبين أن المسلحين كانوا قد نقلوا جثث الشهداء إلى المكان الجديد، خشية وصول الخبر إلى السلطات اللبنانية. وبعد تحديد المكان، عملت وحدة من الأمن العام بالتعاون مع الصليب الاحمر، وبتسهيلات وفّرتها المقاومة في المنطقة، على نبش القبور والعثور على هياكل عظمية تعود إلى ثمانية رجال دفنوا وهم يرتدون أحذيتهم العسكرية، على أن يجري اليوم استكمال البحث عن موقع دفن الشهيد عباس مدلج. وأخذت من الجثامين عيّنات من الحمض النووي ونقلت إلى بيروت لإجراء الفحوصات اللازمة عليها، والتأكد من أنها تعود فعلاً للجنود اللبنانيين. ومن المفترض أن تظهر نتائج الـ«دي. أن. إي.» اليوم، لتحديد هويات الجثامين بشكل حاسم، قبل الاستمرار في التسوية المفترضة. ومساءً، نُقلت الجثامين من منطقة وادي حميد في عرسال إلى المستشفى العسكري في بيروت.

وبينما يشارف ملفّ العسكريين المختطفين على الانتهاء، لا يزال الجيش اللبناني على جاهزيّته لاستكمال عملية تحرير ما تبقى من الأرض المحتلة، فيما كانت قوات الجيش السوري وحزب الله تتقدّم وتضيّق الخناق أكثر على الإرهابيين طوال أوّل من أمس، مسيطرة على مساحات جديدة، أهمها مرتفع «شميس ـ تم المال». وقالت مصادر عسكرية لبنانية لـ«الأخبار» إن «الجيش لم يتفاوض مع داعش لوقف إطلاق نار، واللواء إبراهيم هو المكلّف بالتفاوض، وهو الذي طلب وقف النار لأن الإرهابيين قرروا الإبلاغ عن مكان العسكريين المخطوفين، والجيش أوقف النار في انتظار جلاء ملابسات قضية المخطوفين». وعن مصير الإرهابيين المحاصرين في البقعة الحدودية بعد عملية التفاوض، أكدت المصادر أن «الجيش مستمر في محاصرة المسلحين ولا يزال على جاهزيته كاملة. وما حصل هو وقف للنار فقط، في انتظار صدور النتائج الطبية لرفات العسكريين، والتأكد منها، على أن تتم في المرحلة اللاحقة التعامل مع المعطيات العسكرية بحسب التطورات».

من جهته، ردّ اللواء إبراهيم على الانتقادات التي توجه إلى عملية التفاوض، مؤكّداً أن «عملية فجر الجرود انطلقت من أجل تحرير الجرود وكشف مصير العسكريين، ونحن لسنا عصابة تخرج للانتقام»، سائلاً: «لو قتل كل هؤلاء الإرهابيين من كان ليكشف مصير العسكريين»؟ معتبراً أن «المهم أننا حصلنا على نتيجة، وهي كشف مصير العسكريين وأرواح الشهداء أهم من كل المزايدات». وردّ المدير العام السابق للأمن العام اللواء جميل السيد على من ينتقدون المقاومة بسبب التطورات الأخيرة، معتبراً أن «المقاومة خلصت عبئاً كبيراً كان على كل لبنان»، مشيراً إلى أن «تصريحات بعض السياسيين ومهاجمة المقاومة (كلام) مؤذٍ ومعيب، وفيه قلة أخلاق»، وأن «أياً يكن من ساعدنا في تحرير أرضنا، علينا أن نشكره». وأكد أن «الشعب اللبناني يعرف أن هذا الشهيد في المقاومة والجيش الذي قتل، لم ينوجد أصلاً لو لم يكن تيار المستقبل والقوات اللبنانية مسهّلين لوجود الإرهابيين في جرود عرسال»، لافتاً الى أنهم «فتحوا الحدود من عكار إلى عرسال تحت عنوان إسقاط سوريا وبشار الأسد».

من جهته، قال الوزير جبران باسيل، خلال جولة له في البقاع الشمالي، إن «هناك حديثاً عن معادلة الجيش والشعب والمقاومة، وهناك معادلة أخرى الجيش والشعب والدولة... مساحة التفاهم كبيرة والمقاومة لا تتناقض مع الدولة، بل هي على الأكيد أصغر من الدولة»، موضحاً أن «المقاومين استشهدوا من أجل لبنان وحمايته، والمهم أن ننحني جميعاً أمام الشهادة، لأننا كلنا استشهدنا من أجل قضية ومن أجل الوطن والأرض والشعب».

(الأخبار)